

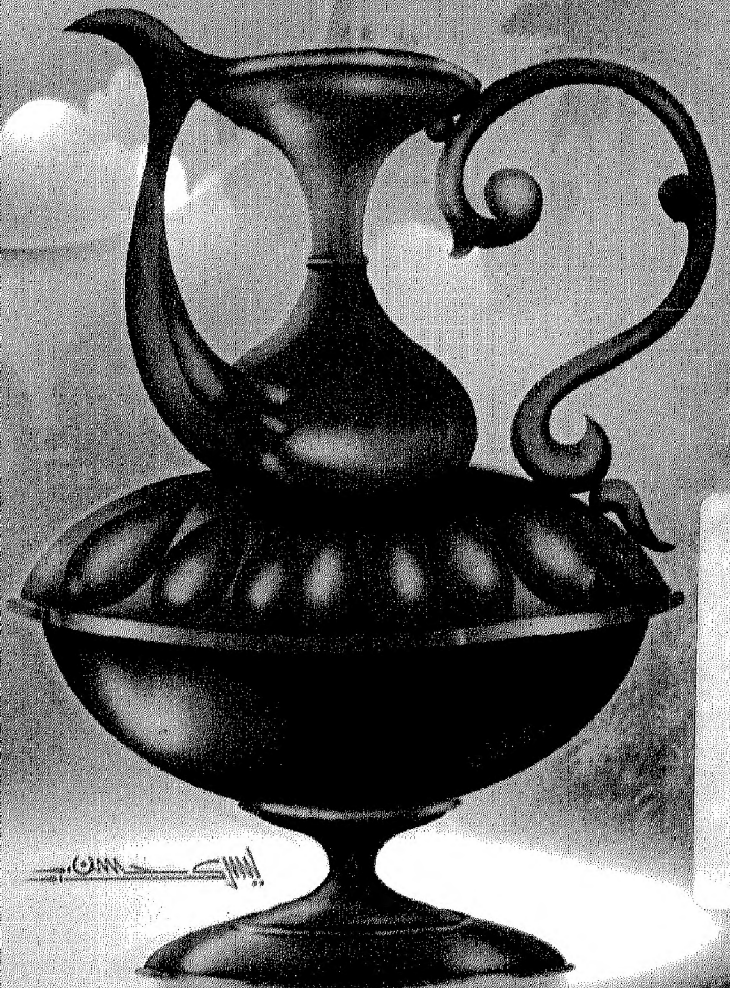
عِظَاتُ قُرْبَانِ

مِنْ حَيَاةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ

بجمع وإعداد

وليد أحمد رهندي
يسرى محمد عبد الله

دار الإحياء
للطباعة والنشر والتوزيع
رقم الترخيص ٥١٥٧٦٦



عظّات وعبر من حياة سلفنا الصالح

جمع وإعداد

وليد أحمد هندی
یسری محمد عبد الله

دار الإیمان
للطبیع والنشر والتوزیع
إسکندریة ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسر
دار الإيمان - إسكندرية
الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٤٩٢١ / ٩٧

الترقيم الدولي

977 - 5191 - 39 - 4

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) ﴿ (١)

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)

(١) سورة الفرقان الآيات ٦٣ - ٧٧ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا
وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴿ (١)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ
تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ
الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ
تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾ (٢)

قال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ (٣)

(١) سورة التغابن الآيات ١١ - ١٨ .

(٢) سورة الأنفال الآيات ٢٠ - ٢٥ .

(٣) سورة التوبة الآيات ٦٧ - ٦٨ .

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) ﴿ (١)

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٥٩) لِّئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا ﴾ (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٦٢) يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴾ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٦٨) ﴿ (٢)

(١) سورة التوبة الآيات ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٧ - ٦٨ .

من هدي النبوة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله : « يخرج في آخر الزمان رجال ، يختلون الدنيا بالدين - أى ينتزعون خيرات الدنيا ويحصدونها باسم الدين تمويهاً على الناس - يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله عز وجل : أباي يفترون ؟ أم عليّ يجترون ؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة ، تدع الحليم منهم حيران » . [أخرجه الترمذى] .

وأخرج الترمذى - رضي الله عنه - حجاج الجنة والنار ، فقال بسنده :
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجبت الجنة والنار ، فقالت : الجنة : يدخلني الضعفاء والمساكين ، وقالت النار : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، فقال للنار : أنت عذابي أنتقم بك من شئت ، وقال للجنة : أنت رحمتي ، أرحم بك من شئت » .

أخرج ابن ماجه فى سننه [ج ٢ ص ٢٦]

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس ، إلا جاء يوم القيامة ، وملك آخذ بقفاه ثم يرفع رأسه إلى السماء ، فإن قال : ألقه ، ألقاه فى مهواة أربعين خريفاً » [أى ألقاه فى هاوية] .

أخرج أبو داود عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينه ^(١) وتابعوا أذناب

(١) نوع من البيوع الفاسدة والكسب الحرام .

البقر^(١) ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل بهم بلاءً ، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

[حديث حسن] .

جاء في حديث عن رسول الله ﷺ قال : « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » .

[ابن ماجه جـ ٢ ، ص ٤٠٨] .

الاعتبار بمن سبقنا وقد ترك أمر الله تعالى

أخرج أبو نعيم في الحلية [٢١٦/١] عن جبير بن نفير - رضى الله عنه - قال : لما فتحت قبرص ، فرّق بين أهلها ، فبكى بعضهم إلى بعض ، ورأيت أبا الدرداء - رضى الله عنه - جالسا وحده يبكي ، فقلت : يا أبا الدرداء ، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ قال : ويحك يا جبير ، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره ، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة ، لهم الملك ، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى ، فسلب عليهم السبأ - الأسر - وإذا سلط السبأ على قوم فليس لله فيهم حاجة .

[حياة الصحابة : ٣ / ٦٨١] .

(١) أى أصلحوا دينهم وانشغلوا بها .

شهادة داهية لداهية

أخرج الطبراني عن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية ، فقال أصحابها - ملكها - بعد حديث لعمرو ... إن رسولكم قد صدق ، قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاءكم به رسولكم ، فكنا عليه حتى ظهر فينا ملوك ، فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم ، ويتركون أمر الأنبياء ، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحدٌ إلا غلبتموه ، ولم يتناولكم أحدٌ إلا ظهرتم عليه ، فإذا فعلتم مثل الذي فعلنا ، وتركتم أمر الأنبياء ، وعملتم مثل الذي عملوا بأهوائهم ، خلى بيننا وبينكم ، فلم تكونوا أكثر منا عدداً ولا أشد منا قوة ، قال عمرو بن العاص : فما كلمت رجلاً أذكر منه - أي أرجل منه - وفي رواية أنكر منه أي أدهى منه .

[حياة الصحابة : ٦٩٤/٣] .

طلب العز بما أعز الله به

أخرج الحاكم « ٦١/١ » عن طارق بن شهاب ، قال : خرج عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إلى الشام - ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضة^(١) - وعمر على ناقة له ، فنزل عنها ، وخلع خفيها ، فوضعهما على عاتقه - منكبه - وأخذ بزمام ناقته ، فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين : أنت

(١) موضع الخوض في الماء .

تفعل هذا ؟! تخلع خُفَّيك وتضعهما على عاتقك ، وتأخذُ بزمامِ ناقَتِكَ وتخوض بها المخاضة ؟! ما يسرُّني أن أهل البلد استشرفوك - نظروا إليك - فقال عمر : أوّه !! لو يقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا - عبرة - لأمة محمد ﷺ ، إنا كنا أذلَّ قوم ، فأعزَّنا الله بالإسلام ، فمهما نطلبُ العزَّ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله .

[حياة الصحابة - ٦٧٩/٣] .

من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية

ذكر في الكنز [٢١٠ / ٨] عن موسى بن عقبة قال : هذه خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية :

أما بعد : فإنني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه ، الذي بطاعته يكرم أولياؤه ، وبمعصيته يضلُّ أعداؤه ، فليس لهالك هلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ، ولا في ترك حق حسبه ضلالة ، وإنَّ أحقَّ ما تعاهد الراعى من رعيته أن يتعهدهم بما الله عليهم من وظائف دينهم الذي هداهم له ، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته ، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته ، وأن نقيم فيكم أمر الله عزَّ وجل في قريب الناس وبعيدهم ولا نبالي على مَنْ مال الحقُّ ، وقد علمتُ أن أقواماً يتمنون في دينهم ، فيقولون : نحن نصلي مع المصلين ، ونجاهد مع المجاهدين ، وننتحل الهجرة - أى ندعى الهجرة - وكل ذلك يفعله أقوام لا يحملونه بحقه ، وإن الإيمان ليس بالتحلَّى ، ويقول أقوام : جاهدنا ، وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو ، واجتناب الحرام ، وقد يقاتل أقوام يحسنون القتال ، لا يريدون بذلك

الأجر ولا الذُّكْر ، وإنما القتلُ حتفٌ ^(١) من الحتوف ، وإن للناس نفرةً عن سلطانهم ، فعائذ بالله أن يدركني وإياكم ضغائن - أحقاداً - مجبولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، وقد خشيتُ أن تركزوا إلى الذين ظلموا ، فلا تطمئنوا إلى من أوتي مالا ، عليكم بهذا القرآن ، فإن فيه نوراً وشفاءً ، وغيره الشقاء ، وقد قضيت الذي عليّ فيما ولاني الله عز وجل من أموركم ، ووعظتكم نصحاً لكم ، وقد أمرنا لكم بأرزاقكم ، وقد جئنا جنودكم ، وهيأنا لكم مغازيكم ، وأثبتنا لكم منازلكم ، ووسعنا لكم ما بلغ فيؤتكم - غنائمكم - وما قاتلتم عليه بأسيافكم فلا حجة لكم على الله ، بل لله الحجة عليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

[حياة الصحابة - ٤٤٠/٣] .

موقف عمر بن عبد العزيز من ابنه

حكى أن بعض أولاده اتخذ خاتماً واشترى له فصاً بألف درهم ! ، فكتب إليه عمر أمير المؤمنين أما بعد :

فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فبَّعه وأشبع به ألف جائع ! ، واتخذ خاتماً من حديد صيني ، واكتب عليها :
« رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

[سمير المؤمنين ص ١٤٧] .

(١) حتف : موت .

وحكى أنه لما ولى عمر الخلافة قالت رعاة الشاء في ذروة الجبال : مَنْ هذا الخليفة الصالح الذى قام على الناس ؟ !

ف قيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إذا قام على الناس خليفة صالح ، كَفَّ الذُّنُوبُ والأسْدُ عن شَأْننا .

[سمير المؤمنين - ص ١٤٨] .

حال عمر رضي الله عنه في قبره

حكى عن رجاء قال : قال لى عمر بن عبد العزيز في مرضه : كُنْ فيمَنْ يَغْسِلُنِي ، وَيُكَفِّنُنِي ويدخل قبري ! ، فإذا أوضعوني في لَحْدِي ، فحلَّ العقدة ، ثم انظر في وجهي ، فإنني قد دَفَنْتُ ثلاثة من الخلفاء ، كلهم إذا وضعت في لَحْدِهِ ، حَلَّتْ العقدة ، ثم نظرت إلى وجهه فإذا وجهه مُسَوَّدٌ في غير القبلة !! .

قال رجاء : فلما مات أمير المؤمنين ، فكنيت فيمَنْ غَسَلُهُ ، وكفنته ودخل في قبره ، فلما حللت العقدة نظرت إلى وجهه ، فإذا وجهه كَالْقِرَاطِيسِ ^(١) في القبلة .

[سمير المؤمنين - ص ١٤٨] .

(١) كالورقة البيضاء الناصعة

وصية السلطان محمد الفاتح لابنه

« ها أنذا أموت ، ولكنى غير آسفٍ ، لأننى تاركٌ خلفاً مثلك .
كُن : عادلاً ، صالحاً ، رحيماً ، وأبسط على الرعية حمايتك بدون تمييز ،
واعمل على نشر الدين الإسلامى ، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض .
قدّم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ، ولا تفتر في المواظبة عليه ؛ ولا
تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ، ولا يجتنبون الكبائر ،
وينغمسون في الفحش ! وجانب البدع المفسدة ؛ وباعد الذين يحرضونك عليها .
وسّع رقعة البلاد . بالجهاد ، واحرس أموال بيت المال من أن تُبَدَّدَ . إياك أن
تمد يدك إلى مال أحدٍ من رعيتهك إلا بحق الإسلام ، وضمن للمعوزين
قوتهم ، وابذل إكرامك للمستحقين .

وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة في جسم الدولة ، فعظّم جانبهم
وشجّعهم ، وإذا سمعت بأحدٍ منهم فى بلدٍ آخر ، فاستقدمه إليك ، وأكرمه
بالمال ! .

حذار ، حذار ! لا يغرّنك المال ولا الجند ! وإياك أن تبعد أهل الشريعة عن
بابك ، وإياك أن تميل إلى أى عمل يخالف أحكام الشريعة ؛ فإن الدين
غايتنا ، والهداية منهجنا ، وبذلك انتصرنا ! .

خذ منى هذه العبرة ! حضرت هذه البلاد كنملة صغيرة ، فأعطانى الله
تعالى هذه النعم الجليلة ! ، فالزم مسلكى ، واحذ حذوى ، واعمل على تعزيز
هذا الدين وتوقير أهله ، ولا تصرف أموال الدولة فى ترفٍ أو لَهْوٍ ، أو أكثر من
قدر اللزوم ، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك » .

[سمير المؤمنين - ص ١٩] .

مواظب العلماء المخلصين

قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - : إني موصيك بكلماتٍ من جوامع الإسلام ومعالجه : اخش الله في الناس ، ولا تخش الناس في الله ، ولا يخالف قولك فعلك ، فإن خير القول ما صدقه الفعل وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات ^(١) إلى الحق حيث علمته ، ولا تخف في الله لومة لائم .

قال : ومن يستطيع ذلك يا سعيد ؟ .

قال : من ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك ، أى الأمانة .

وقال قتادة : خرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من المسجد ومعه الجارود ، فإذا امرأة برزة ^(٢) - جليلة - على ظهر الطريق ، فسلم عليها ، فردت عليه ، فرد عليها ، فقالت : هيه يا عمر ، عهدتك وأنت تسمى عميراً فى سوق عكاظ تصارع الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفتور ، فبكى عمر - رضى الله عنه - فقال : الجارود : هيه ، قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته .

فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه ؟ هى خولة بنت حكيم ، التى سمع الله قولها من فوق سماواته ، فعمر والله أخرى أن يسمع كلامها .

[مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص ١٤٣-١٤٤] .

(١) الغمرات : شدائد الموت .

(٢) تبرز وتجلس للناس وتوصف بالجهارة والعقل .

موعظة صادقة

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثاً ، فقال : أما هاها رجلٌ ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا ؟ .

فقال له : ها هنا رجل يُقال له : أبو حازم ، فبعث إليه ، فجاء .

فقال سليمان : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال أبو حازم : وأى جفاءٍ رأيت مني ؟ فقال له : أتاني وجوه المدينة كلهم ولم تأتني ؟! فقال : ما جرى بيني وبينك معرفة آتيتك عليها ، قال : صدق الشيخ ، يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتُم دنياكم وخربتُم آخرتكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت يا أبا حازم ، فكيف القدوم على الله تعالى ؟ .

قال : أما المحسنُ فكالغائب يُقدِّمُ على أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيءُ فكالأبق - العبد الهارب - يقدم على مولاه خائفاً محزوناً ، فبكى سليمان وقال : ليت شعري ، ما لنا عند الله يا أبا حازم ؟ فقال أبو حازم : اعرضُ نفسك على كتاب الله ، فإنك تعلم ما لك عند الله ، قال : أبا حازم ، وأنى أصيبُ تلك المعرفة من كتاب الله ؟ .

قال : عند قوله : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) ﴿ (١) ، قال : يا أبا حازم ، فأين رحمة الله : قال : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الانفطار الآيات ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٦ .

قال : يا أبا حازم مَنْ أَعْقَلَ الناس؟ قال : مَنْ تَعَلَّمَ الحِكْمَةَ وَعَلِمَهَا الناس .
قال : فَمَنْ أَحَقُّ الناس؟ قال : مَنْ حَطَّ نَفْسَهُ فِي هَوَى رَجُلٍ وَهُوَ ظَالِمٌ ،
فَبَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .
قال : يا أبا حازم ، فَمَا أَسْمَعُ الدُّعَاءَ ؟ قال : دُعَاءُ الْمُخْبِتِينَ - أَى
الْخَاشِعِينَ - .

قال : فَمَا أَزْكَى الصَّدَقَةِ ؟ قال : جُهْدُ الْمُقِلِّ ، أَى قَدْرٌ مَا يَحْتَمِلُهُ قَلِيلُ الْمَالِ .
قال : يا أبا حازم ، مَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قال : اعْفَنِي مِنْ هَذَا .
قال سليمان : نَصِيحَةٌ تَلْقِيهَا . قال أبو حازم : إِنْ نَاسًا أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ
عَنُودَةً مِنْ غَيْرِ مَشَاوَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ ، فَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَاءَ
عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ شِعْرِي ، مَا قَالُوا ؟ وَمَا قِيلَ لَهُمْ ؟
فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِمْ : بَرِّئْتُ مَا قُلْتَ يَا شَيْخٍ ، فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : كَذَبْتَ ، إِنَّ اللَّهَ
أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لِيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ .

قال سليمان : يا أبا حازم ، أَصَبَحْنَا تُصِيبُ مِنَّا وَتُصِيبُ مِنْكَ ، قَالَ : أَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أُرْكُنَ ^(١) ، إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلًا ،
فَيُذِيقَنِي ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ .
قال : فَأَشِرْ عَلَيَّ . قال : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ
أَمَرَكَ .

قال : يا أبا حازم ، ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فقال : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيُّكَ
فَيَسِّرْهُ لِلْخَيْرِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَّتِهِ ، فقال : يَا غَلَامُ ،
هَاتِ مِئَةَ دِينَارٍ ، ثُمَّ قَالَ : خُذْ هَذَا يَا أَبَا حَازِمٍ . قال : لَا حَاجَةَ لِي بِهِ ،

(١) أُرْكُنَ : أَى أَمِيلَ إِلَيْكُمْ .

لى ولغيرى فى هذا المال أسوة ، فإنَّ واسَيْتَ بيننا - عدلتَ بيننا - وإلا فلا حاجة لى فيها .

قال أبو حازم : إن بنى إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء وكانت العلماء تفرُّ بدينها منهم ، فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم ، وأثابوا به الأمراء ، واجتمع القوم على المعصية ، فسقطوا وانتكسوا ، ولو كان العلماء يصونون دينهم وعلمهم ، لم تزل الأمراء تهابهم .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف لابن قدامة ١٤٤ - ١٤٦] .

أعرابي صادق

وحكى أن أعرابياً دخل على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني مكلمك بكلام فاحتمله ، وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته .

قال : قل . قال : يا أمير المؤمنين ، إنه قد اكتنفك رجال - أحاط بك رجال - ابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوه فيك ، خربوا الآخرة وعمروا الدنيا فهم حرب للآخرة ، سلموا للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنتك الله عليه ، فإنهم لم يألوا الأمانة تضييعاً والأمة خسفاً - أى ضيعوا الأمانة وأهلكوا الأمة - وأنت المسؤول عما اجترحوا - اكتسبوا - وليسوا بمسؤولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبناً - أى نقصاً - بائع آخرته بدنيا غيره .

[مختصر منهاج القاصدين ١٤٦ -] .

العلماء المخلصون لا تأخذهم في الله لومة لائم

وعن الأوزاعي - رحمه - الله قال : بعث إليَّ المنصور وأنا بالساحل فأُتيتُهُ ، فلما وصلت إليه وسلَّمْتُ عليه ، استجلسني ، ثم قال : ما الذي أبطأك يا أوزاعي ؟ قلت : وما الذي تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذَ عنكم والاقْتباسَ منكم .

قلت : فانظر يا أمير المؤمنين إن تسمع شيئاً ثم لا تعمل به ، فصاح بي الربيعُ وأهوى بيده إلى السيف ، فإنتهره المنصور وقال : هذا مجلسٌ مثنوية لا مجلس عقوبة ، فطابتُ نفسي وأنبسطتُ في الكلام - أي الأوزاعي - فقلت : يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما والٍ مات غاشاً لرعيته حرمَ الله عليه الجنة » يا أمير المؤمنين ، كنت في شُغلٍ شاغلٍ من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكُهم ، أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وكافرهم ، وكل له عليك نصيبٌ من العدل ، فكيف بك إذا أنبعث منهم فئامٌ وراءَ فئامٍ - أي جماعة ^(١) - ليس منهم أحدٌ إلا وهو يشكو بليّةً أدخلتْها عليه ، أو ظلامَةً سَقَتْها إليه ، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد بن حارثة ، عن حبيب بن سلمة ، أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه ، في خدش خدشه أعرابياً لم يتعمده ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد إن الله تعالى لم يبعثك جباراً ولا متكبراً ، فدعا عليه الصلاة والسلام الأعرابي ، فقال : اقتص مني « فقال الأعرابي : قد أحللتك ، بأبي أنت وأمي ، وما كنت لأفعلَ ذلك أبداً ، ولو أُتيتَ على نفسي - أي أهلكتها -

(١) الفئام : الجماعة الكثيرة من الناس .

فدعا له بخير .

يا أمير المؤمنين ، رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك .
يا أمير المؤمنين ، إنَّ الملَّكَ لو بقى لمن قلك لم يصل إليك ، وكذلك لا
يُقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين ، بلغنى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : لو ماتت
سُخلة - أى غنمة - على شاطئ الفرات ضيعةً ، لخشيت أن أسأل عنها ،
فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟ .

يا أمير المؤمنين ، قد سأل جدك العباس رسول الله ﷺ إمارةً على مكة أو
الطائف أو اليمن ، فقال له النبي ﷺ : « يا عم ، نفسٌ تنجيها خيرٌ من إمارةٍ لا
تحصيها » .

ثم أمر المنصور للأوزاعي بمالٍ يستعين به على خروجه ، فلم يقبله ، وقال :
أنا فى غنى عنه ، وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها - أى متاعها - .
[مختصر منهاج القاصدين بتصرف - ١٥٠] .

باب في ذم البخل والحرص والطمع

اعلم أن المال لا يُدَمُّ لذاته بل يقع الذم للمعنى من الآدمي ، وذلك المعنى إما شِدَّةُ حِرْصِهِ أو تناوله من غير حلِّه ، أو حبسه عن حقه ، أو إخراجه في غير وجهه ، أو المفاخرة به ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وكان عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إذا رأى الفتوح يبكى ويقول : ما حبس الله هذا عن نبيه وعن أبي بكرٍ لشرٍ أراده بهما ، وأعطاه عمر إرادة الخير له .
وقال يحيى بن معاذ : مُصِيبَتَانِ لِلْعَبْدِ فِي مَالِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ لَا تَسْمَعُ الْخَلَائِقُ بِمَثَلِهِمَا ، قيل : ما هما ؟ .

قال : يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلُّهُ ، وَيُسْأَلُ عَنْهُ كُلُّهُ .
وَيُمدَحُ الْمَالُ إِذَا كَانَ سَبَباً إِلَى مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ، وَقَدْ سَمَاهُ اللَّهُ خَيْراً ، وَهُوَ قَوَامُ الْآدَمِيِّ .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (٢) .
ينبغي لِمَنْ فَقَدَ الْمَالَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْقِنَاعَةَ ، وَلِمَنْ وَجَدَهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ السَّخَاءَ وَالْإِثَارَ وَاصْطِنَاعَ الْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّ السَّخَاءَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ النِّجَاحِ .

صح عن النبي ﷺ أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وأنه ما سُئِلَ شيئاً قط فقال : لا .

(١) سورة التغابن الآية « ١٥ » .

(٢) سورة النساء الآية « ٥٥ » .

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي في السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بُكاءَ أهل خالد ، فقال لأهله : ما هؤلاء ؟ قالوا : سيكون على دارهم ، قال : يا غلام ائْتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً .

من حياة الأسخياء

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له - أرض نخيل - فنزل على نخل لقوم فيها غلامٌ أسود يعمل فيها ، إذ أتى الغلام بقوته - بطعامه - فدخل الحائط « البستان » كلب ، فدنا من الغلام فرمى إليه قرصاً - من الخبز - فأكله ، ثم رمى إليه قرصاً آخر فأكله ، ثم رمى إليه الثالث فأكله ، وعبد الله ينظر فقال : يا غلام ، كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت ، قال : فلم أثرت به هذا الكلاب ؟ قال : ما هي بأرض كلاب ، جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت رده . فقال : فما أنت صانع ؟ قال : أطوي - أجوع - يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء وهذا أسخى مني ، فاشترى الحائط وما فيه من الآلات ، واشترى الغلام وأعتقه ووهبه له - أي البستان - .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف ٢١٣ - ٢٢٤ -] .

أخرج البخاري عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن رجلاً فيمن كان قبلكم ، أتاه الملك ليقبض روحه ، فقيل له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم ، قيل له : انظر ، قال : ما أعلم شيئاً ، غير أنني كنت أبايع الناس في الدنيا ، فأجازيهم ، فأنظر الموسر ، وأتجاوز عن

المعسر ، فأدخله الله الجنة » .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ إن الله تعالى يقول : « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي ، أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، ولا تفعل ملأت يديك شغلاً ، ولم أسد فقرك » .

[أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب] .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : « أنفق يا ابن آدم ، أنفق عليك » .

[أخرجه البخارى] .

بيان علامات حسن الخلق

حُسن الخلق هو مجموع صفات المؤمنين ، وقد وصفهم الله تعالى في آيات كثيرة منها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(١) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ^(٢) .

وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة ، وأشار بها إلى محاسن الأخلاق ، جاء في الحديث : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » .

ومن حسن الخلق احتمال الأذى ، ففي « الصحيحين » أن أعرابياً جذب رداء النبي ﷺ حتى أثرت حاشيته في عاتقه ﷺ ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ، ثم ضحك ، ثم أمر له بعتاء . وكان أويس القرني إذا رمأه الصبيان بالحجارة يقول : يا أخوتاه ، إن كان ولابد ، فارموني بالصغار لئلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة .

وخرج إبراهيم بن أدهم سلطان العلماء إلى بعض البراري ، فاستقبله جندي فقال : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة ، فضرب الجندي رأسه فشجّه ^(٣) ، لظنه أنه يستهزئ به ، فلما أخبر أنه إبراهيم ، جعل يقبل يده ورجله ، فقال إبراهيم : إنه لما ضرب رأسي ، سألت الله له الجنة ، لأنني علمت أنني أوجر بضربه إياي ، فلم أحب أن يكون نصيبى منه الخير ، ونصيبه مني الشر .

[مختصر منهاج القاصدين - ١٧٠] .

(١) سورة الأنفال الآية ٢ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٣ .

(٣) فأصابه بجراح .

رحم الله امرأاً أهدي إلي عيوبي

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٩) ﴿ (١) .

من أراد الوقوف على عيب نفسه ، فله في ذلك أربع طرق :

الطريقة الأولى :

أن يجلس بين يدي عالم بصيرٍ بعيوب النفس ، يُعرِّفه عيوب نفسه وطرائق علاجها .

الطريقة الثانية :

أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً مُتديناً وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله .

وقد كان عمر أمير المؤمنين يقول : رحم الله امرأاً أهدي إلينا عيوبنا ، وكان يسألُ حذيفة : هل أنا من المنافقين ؟ وهذا لأن كل من علَّتْ مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه .

الطريقة الثالثة :

أن يستفيد عيوب نفسه من ألسنة أعدائه ، فإن عين السخط تبتدي المساوى .

الطريقة الرابعة :

أن يُخالط الناس ، فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم يجتنبه .

[مختصر منهاج القاصدين - ١٧١]

(١) سورة الشمس : الآية (٩) .

من سيرة علمائنا العاملين المخلصين

حكى أن الإمام المزني دخل على الإمام الشافعي في مرضه الذي مات فيه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فأجابه قائلاً :

أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسبيّ عملي مُلاقياً ،
ولكأس المنية شارباً ، وعلى ربي تبارك وتعالى وارداً ، لا أدري : تصير روحي إلى
الجنة فأهنئها ، أو إلى النار فأعزيها

[سمير المؤمنين - ١٥٧] .

وسمع الإمام الشافعي مرة من الحارث بن ليبيد في مكة المكرمة على
الصفا يقرأ قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَدِرُونَ ﴿٣٦﴾ ^(١) ، فتغير لونه ، وأقشعر جلده ، واضطرب اضطراباً شديداً ،
وخرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ من مقام الكاذبين ، وإعراض
الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لك رقاب المشتاقين ،
إلهي ! هب لي جودك ، وجللني بسترِكَ ! واعف عن تقصيري بكرم وجهك ! .

(١) سورة المرسلات الآيات ٣٥ ، ٣٦ .

باب الحقد والحسد

اعلم أن الغيظ إذا كُظِمَ عن التشقّي في الحال رجّع إلى الباطن ، فاحتقن فيه فصار حقدًا ، وعلامته دوام بغض الشخص واستثقاله والنفور منه ، فالحقد ثمرة الغضب والحسد من نتائج الحقد .

عن الزبير بن العوام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ » .

قال ابن سيرين : ما حسدتُ أحداً على شيء من أمر الدنيا ، لأنه إن كان من أهل الجنة ، فكيف أحسدهُ على شيء من أمر الدنيا ، وهو يصيرُ إلى الجنة ، وإن كان من أهل النار فكيف أحسدهُ على أمر الدنيا وهو يصيرُ إلى النار .

علاج الحسد :

تارة بالرضى والقضاء ، وتارة بالزهد في الدنيا ، وتارة بالنظر فيما يتعلق بتلك النعم من هموم الدنيا وحساب الآخرة .

والحسد له أسباب :

أحدها : العداوة ، والعُجبُ ، والتكبر ، وحب الرياسة ، وخبث النفس وبُخلها ، والحقد يقتضى التشقى والانتقام ، فمهما أصابَ عدوه من البلاء فرح بذلك ، وظنَّه مكافأةً من الله تعالى له ، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين ، وأما الآخرة فلا تضيق فيها .

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تُداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل ، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدّين والدنيا ، وأنه لا يضر المحسود في الدّين ولا في الدنيا ، بل

ينتفع به ، فإذا تأملت ما ذكرنا علمت أنك عدو لنفسك ، وهو صديق لعدوك ،
وقد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن شخصاً اعتابهم ، أهدوا إليه هدية ،
فهذه أدوية نافعة للحسد جداً ، إلا أنها مرة .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف - ٢٠١ ، ٢٠٨] .

اتق دعوة المظلوم

أخرج أبو نعيم في الحلية [٩٦ / ١] عن ابن عمر -رضي الله عنهما - :
أن مروان أرسل إلى سعيد بن زيد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ناساً يُكَلِّمُونَهُ فِي شَأْنِ أُرْوَى
بنت أُوَيْسَ وَخَاصَمَتُهُ فِي شَيْءٍ .

فقال : يروني أظلمها ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ظَلَمَ
شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً
فَلَا تَمِيتْهَا حَتَّى يَمُوتَ بِصَرِّهَا ، وَتَجْعَلَ قَبْرَهَا فِي بَيْتِهَا ، قَالَ : فَأَوَّاهُ مَا مَاتَ
حَتَّى ذَهَبَ بِصَرِّهَا ، وَخَرَجَتْ تَمْشِي فِي دَارِهَا وَهِيَ جَذْرَةٌ فَوَقَعَتْ فِي بَيْتِهَا ،
وَكَانَتْ قَبْرَهَا أَيْ الْبَيْتِ .

[حياة الصحابة . - ٥٥٣/٣] .

من شمائل النبي ﷺ

مشاركة النبي ﷺ أمته :

استكت إليه فاطمة بنته ما تلقاه من أعمال البيت من شدة وعناء ، وطلبت إليه أن يُخدمها خادماً - يعطيها خادماً - فرفض - ﷺ - ذلك وقال لها : لا أعطيك وأدعُ أهلُ الصُّفَّةِ - فقراء المهاجرين - تطوى بطونهم من الجوع .
[رواه الإمام أحمد]

إلى الذين يزينون بيوتهم وقصورهم :

أتى النبي ﷺ بيت فاطمة ليزوره ، ثم عدل فلم يدخل عليها ، فبعثت علياً ليسأل عن سبب عدوله عن زيارتها ، فأجابه الرسول ﷺ : إني رأيتُ على بابها ستراً موشياً ! - أى قماشاً ملوناً وعليه رسوم - فعاد علي إلى فاطمة فأخبرها الخبر ، فقالت فاطمة : لتأمرني فيه بما شاء ، فقال عليه السلام : لئُرسلني به إلى فلان أهل بيت بهم حاجة - أى فاقة وفقر - .
[رواه البخارى]

خطب ومواعظ

أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة الخلافة :

« إني قد وليتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوموني ، والضعيف فيكم قوي حتى آخذَ له الحق ، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذَ منه الحق ، لا يدعُ قومُ الجهادِ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم بالبلاء .
[عظمائنا في التاريخ - ص ١١٥]

عمر الفاروق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يخطب قائلاً :

اقرؤوا القرآنُ تعرفوا به ، واعلموا به تكونوا من أهله ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، ألا وإنى أنزلت نفسي من مال الله - أى من مال الرعية - بمنزلة وليّ اليتيم ، إن استغنيت عفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

[حياة الصحابة ٤٤٢/٣] .

ومن أقواله لجنده :

« لا تقولوا إن عدونا شرُّ منا فلن يُسلط علينا ، فربُّ قوم سلَّط عليهم شرُّ منهم كما سلَّط على بنى إسرائيل كفارُ الجوس ... » .

[عظمائنا فى التاريخ - ١٤٦] .

وصية عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لكميل بن زياد :

يا كميل بن زياد ! القلوب أوعى فخيرها أوعاها ، احفظ ما أقول لك .
الناس ثلاثة : فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاته ، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق - أى واع بغير هدى - يميلون مع كل ريح - أى مع الهوى - لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق .

[عظمائنا فى التاريخ - ١٩١] .

ويقول مُحذراً من سفك الدماء :

« إياك والدماء وسفكها بغير حلّها ، فلا تُقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ... » .

[عظمائنا فى التاريخ - ١٩٦] .

مع أبي الدرداء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :

قال : إذا نابذتَ الناسَ نبذوك وإن تركتهم لم يتركوك ؛ وإن هربتَ منهم أدرَكوك ، فهبْ عوضك ليوم فقرك - أى يوم الحساب - .

[عطاؤنا فى التاريخ - ٢٠١] .

وقال : اتقوا الله واحذروا غمارَ الناس ، فإنهم ما ركبوا ظهرَ بغيرِ إلا أدبروه ، ولا ظهرَ جوادٍ إلا عقروه ، ولا قلبَ مؤمنٍ إلا خربوه .

[عظمائنا فى التاريخ - ٢٠٣] .

خطبة عمر بن عبد العزيز عند توليه الخلافة

لما دُفِنَ سليمان بن عبد الملك ، سمع عمر بن عبد العزيز للأرض رجّةً ، فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكبُ الخلافة قد قُرِبَتْ إليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما لى ولها ! وسارَ وسارَ والناسَ معه حتى دخلَ المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فقال :

« يا أيها الناس : إني قد ابتليتُ بهذا الأمر عن غير رأيٍ كان منى فيه ، ولا طلبَ لهُ ، ولا مشورةٍ من المسلمين ، وإني قد خلعتُ ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاخترُوا لأنفسكم » .

فصاح الناس صيحةً واحدةً ، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فلما هدأت الأصوات ، حمدَ الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى ، وقال : « أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلفَ من كُلِّ شيء ، وليس من تقوى

الله عز وجل خلفٌ ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم ، يصلح الله الكريم علانيتكم ، وإن من يذكّر من آبائه فيما بينه وبين آدم أباً حياً لمُعرق في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها « ﷺ » ولا كتابها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإنى والله لا أُعطي أحداً باطلاً ، ولا أُمْنَعُ أحداً حقاً ، وإنى لست بخازنٍ ، ولكنى أضعُ حيثُ أمرتُ .

أيها الناس :

إنه قد كان قبلى ولاةٌ يجترّون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلّمهم عنكم ، ألا لا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالق ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم ، أقولُ قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم » .

حكمة صادقة

إن شئت أن تصير من الأولياء الصالحين فحوّل خلقك إلى بعض خلق الأطفال ، ففيهم خمس خصالٍ لو كانت فى الكبار لكانوا أولياء .
« لا يهتمون للرزق ، ويأكلون الطعام مجتمعين ، ولا يشكّون من خالقهم إذا مرضوا ، وإذا تفاصموا سارعوا إلى الصلح ، وإذا خافوا جرّت عيونهم بالدموع » .

تربية الأبناء أمانة

اعلمُ أن الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة ساذجة ، وهي قابلة لكل نقش فإن عود الخير نشأ عليه ، وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه ، وأن عود الشر نشأ عليه ، وكان الوزر - الإثم - في عنق وليه ، فينبغي أن يراقبه من أول عمره ، فلا يستعمل في رضاعه وحصانته إلا امرأة صالحة ، فإذا بدت فيه مخايل التمييز وأولها الحياء ، وذلك علامة النجابة - أى الكرامة - وهي مبشرة بكمال العقل عند البلوغ .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف - ١٧٣] .

دعاء مأثور

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على سيدنا ونبيينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ،
نسألك بعزتك التى لا ترام ، وبملكك الذى لا يضام ، وبقدرتك التى قدرت
بها على خلقك ، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك ، نعوذ بك من شرّ خلقك
كلهم جميعاً أن يفرط علينا أحد أو يطغى ، عزّ جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك
سبحانك إنا كنا من الظالمين ، فاغفر لنا وارحمنا وتوفنا مسلمين ، وألحقنا
بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، ومتّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم من غير
ضراء مُضِرّة ولا فتنة مُضِلّة .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنّا فى أوطاننا ، وكفّ أيدي الظالمين
عنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ،
ونسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ بك
من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، فلا تجعل الدنيا أكبر
همّنا ولا مبلّغ علمنا وانصرنا على من ظلمنا ، وامكّر لنا ولا تمكّر علينا
وأكرمنا ولا تهنّا وأصلح شأننا كله .

اللهم أصلح ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، ودينانا الذى فى معاشنا ، وآخرتنا
الذى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادةً لنا فى كل خير ، والموت راحة لنا من
كل شر ، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية ، والأمن والإيمان والسلامة والإسلام لديارنا وديار المسلمين أجمعين .

وصلّى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

اتق دعوة المظلوم !!

روى البخارى ^(١) أن أهل الكوفة شكوا سعد بن أبى وقاص إلى عمر رضى الله عنهما فعزله واستعمل عليهم عماراً ، فشكوا سعداً حتى ذكروا أنه لا يجسن يصلى ، فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق ، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى ، قال سعد : أما أنا فوالله إني كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ، ما أخرج منها ، أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين ^(٢) ، وأخف فى الآخرين . قال : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق . فأرسل معه رجلاً - أو رجلاً - إلى الكوفة ، فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ، ويشنون عليه معروفاً ، حتى دخل مسجداً لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة ، يكنى أبا سعدة ، قال : أما إذا نشدتنا ، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية ، قال سعد : وأنا والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً ، قام رياءً وسمعة ، فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن . وكان الرجل إذا سئل بعد يقول : شيخ كبير ، مفتون ، أصابتني دعوة سعد !! .

(١) أخرجه البخارى رقم « ٧٥٥ » كتاب الأذان .

(٢) أركد فى الأوليين . أطيل فيهما القراءة .

قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ،
وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق يغمزهن !! .

فإياك أيها العبد أن تتعرض لعباد الله الصالحين ، فإنهم فى حفظ الله
وكنفه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) ، وإذا دافع
الله عن أحد فهل لمخلوق قبل بإنزال الهزيمة بساحته ؟! كلا ولو اجتمع على
ذلك الأولون والآخرون ، إذن فلماذا تقف فى موقف المواجهة مع رب
السموات والأرض ؟ ، أما علمت أن الله يقول فى الحديث القدسى : « من
عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » ^(٢) .

يا مسكين ! أتريد أن تدخل فى حرب مع خالقك ؟ أين قوتك ؟ أين جنودك ؟
أين سلاحك ؟ أين حصونك ؟ أين أرضك ؟ أين سماؤك ؟ أفق من سكرتك ،
وعد إلى رشدك ، وأعرف من أنت ، وكيف بدأت وإلى أى شىء تنتهى .

نادي القصور التى أقوت معالمها	أين الجسوم التى طابت مطاعمها
أين الملوك وأبناء الملوك ومن	ألهاه ناضر دنياه وناغمها
أين الأسود التى كانت تحاذرها	أسد العرين ومن خوف تسالمها
أين الجيوش التى كانت لو اعترضت	لها العقاب لخانتها قوادمها
أين الذين لهوا عما له خلقوا	كما لهت فى مراعيها سوائمها
أين البيوت التى من عسجد نسجت	هل الدنانير أغنت أم دراغمها ؟
أين الأسرّة تعلوها ضراغمها	هل الأسرّة أغنت أم ضراغمها ؟
أين العيود التى نامت فما انتبهت	واهاً لها نومة ما هب نائمها ^(٣)

(١) سورة الحج الآية ٣٨ .

(٢) البخارى رقم ٦٥٠٢ ، كتاب الرقاق .

(٣) التبصرة ٩٠/١ ، ٩١ .

الرضا بالمصائب ^(١)

قال أبو عبد الله المنبجى الحنبلي - رحمه الله - أعلم - رحمك الله - أن الرضا بالمصائب أشق على النفوس من الصبر ، وقد تقدم أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس ، وفي جامع الترمذى أن النبى ﷺ قال : « إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط له السخط » ^(٢) .

قال عمر بن عبد العزيز : أما الرضا فمنزلة عزيزة ، ولكن قد جعل الله فى الصبر مَعولاً حسناً .

وقال ابن زيد : نظر عليّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - إلى عديّ بن حاتم كئيباً . فقال : يا عديّ مالي أراك كئيباً ؟ قال : وما يمنعني وقد قُتل أبنائي وفقت عيني ، فقال : يا عدي : من رضي بقضاء الله كان له أجر ، ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله .

وقيل لبعض الصالحين : قتل ولدك فى سبيل الله ! فقيل له : أتبكى وقد استشهد ؟ فقال : إنما أبكى كيف كان رضاه عن الله عز وجل حين أخذته السيوف !! .

قال الإمام المنجى : وقد تقدم ما سنه رسول الله ﷺ لأهل المصيبة وما نهى عنه ، ومما سنه : الخشوع والبكاء الذى لا صوت معه ، وحزن القلب ، وكان يفعل ذلك ويقول : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب » ^(٣) ، وكذلك الحمد والاسترجاع .

(١) مختصر من « تسلية أهل المصائب » ص ٢٠٨ - ٢١٩ .

(٢) أخرجه الترمذى رقم ٢٣٩٨ ، كتاب الزهد وابن ماجة رقم ٤٠٢١ ، كتاب الفتن ، وقال الترمذى : حديث حسن .

(٣) أخرجه البخارى رقم ١٣٠٣ ، كتاب الجائز ، ومسلم رقم ٦٢ ، كتاب الفضائل من حديث أنس .

ومن سنته ﷺ : الرضا عن الله في المصيبة وغيرها ، ولم يكن منافياً لدمع
لاعين وحزن القلب ، وأشد الناس حرصاً على رضى مولا هم الأنبياء ، ومع ذلك
بكى النبي ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم - عليه السلام - رافة ورحمة منه للولد ورقة عليه ،
وقلبه ﷺ ممتلى بالرضا عن الله تعالى وشكره له ، واللسان مشغول بحمده وذكره .

وروى أن بعض العارفين من السلف جعل يضحك يوم مات ولده ، ف قيل
له : تضحك في مثل هذه الحال ؟ فقال : إن الله تعالى قضى بقضاء ، فأحببت
أن أرضى بقضائه . فأشكل هذا على جماعة من العلماء وأرباب والتصوف
وقالوا : كيف يبكي رسول رب العالمين ﷺ يوم مات ولده ، وهو أرضى الخلق
عن الله ، ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده ؟ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هَدَى نَبِينَنَا ﷺ أَكْمَلَ مِنْ هَدَى هَذَا
العارف ، فإنه ﷺ أعطى العبودية حقها ، فاتسع قلبه للرضا عن الله ، ورحمة
الولد والرقعة عليه ، فحمد الله ورضى عنه في قضائه ، وبكى رحمة ورقة ،
فحملته الرحمة على البكاء ، وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد ، وهذا
العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين ، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام
بهما ، فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقعة . انتهى .

ومما يؤيد ما ذكره الشيخ - رحمه الله - قصة نبي الله يعقوب ، إذا حكى
الله تعالى عنه أنه ابيضت عيناه من الحزن وقال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ^(١) ،
وقال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، فطريقة يعقوب - عليه السلام -
أفضل من طريقة هذا العارف ، مع كثرة أولاد يعقوب ، وأما هذا العارف على
ما قيل : لم يكن له ولد سواه .

(١) سورة يوسف الآية ٨٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ٨٦ .

حُسن الخلق

١ - الأخلاق منائح :

قال طاووس : إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله عز وجل من يشاء من عباده ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً منحه خلقاً صالحاً ^(١) .

٢ - سوء الخلق عذاب :

عن الحسن أنه قال : من ساء خلقه عذب نفسه ^(٢) .

٣ - بحسن الخلق تنال الدرجات :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : إن العبد ليلبغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ، ويلبغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد !! ^(٣) .

٤ - مكارم الأخلاق تحتاج إلى مجاهدة :

عن سعيد بن العاص قال : يا بني ! إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام ، ولكنها كريهة مرة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها ^(٤) .

٥ - الرزق في حُسن الخلق :

قال يحيى بن معاذ : في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ^(٥) .

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم ٣٢ .

(٢) الإحياء للغزالي ٥٢/٣ .

(٣) الإحياء للغزالي ٥٢/٣ .

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم ٥٢ .

(٥) الإحياء للغزالي ٥٢/٣ .

٦ - رأى للفضيل :

قال الفضيل : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق ، أحب إليّ من أن يصحبنى عابد سيء الخلق !! ^(١) .

٧ - ابن المبارك يبكى رجلاً لسوء خلقه :

وصحب ابن المبارك رجلاً سيء الخلق فى سفره ، فكان يحتمل منه ويداريه ، فلما فارقه بكى ، فقيل له فى ذلك فقال : بكيته رحمة له ، فارقه وخلقه معه لم يفارقه !! ^(٢) .

٨ - سبيل النبيل :

قال أيوب السخيتانى : لا ينبىل الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما فى أيدي الناس ، والتجاوز عما يكون منهم ^(٣) .

٩ - صفة حسن الخلق عند الإمام أحمد :

ذكر الإمام البيهقى فى شعب الإيمان ^(٤) كلاماً ذهبياً لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل قال فيه : « ومعنى حسن الخلق : سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك فى ذات الله تعالى ، وقد يكون فيما بين الناس .

وهو فى ذات الله - عز وجل - أن يكون العبد منشراح الصدر بأوامر الله ونواهيه ، يفعل ما فرض عليه ، طيب النفس به ، سلساً نحوه ، وينتهى عما حرم عليه ، واسعاً به صدره ، غير متضجر منه ، ويرغب فى نوافل الخير ،

(١) الإحياء للفرالى « ٥٢/٣ » .

(٢) الإحياء « ٥٢/٣ » .

(٣) مكارم الأخلاق رقم « ٤٢ » .

(٤) شعب الإيمان للبيهقى « ١٣١/١٤ ، ١٣٢ » .

ويترك كثيراً من المباح لوجه الله تعالى ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية .
وهو فى المعاملات بين الناس أن يكون سمحاً بحقوقه لا يطالب غيره بها ،
ويوفى ما يجب لغيره عليها منها ، فإن مرض فلم يُعَد ، أو قدم من سفر فلم
يُزَر ، أو سَلِم فلم يُردَ عليها ، أو دخل على قوم فلم يَمْكُن ، أو تكلم فلم
ينصت له ، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له ، أو خطب فلم يزوّج ، أو
استمهل لدين فلم يُمهّل ، أو استنقص فلم ينقص ، وما أشبه ذلك ...
لم يغضب ولم يعاقب ، ولم يتنكر من حاله ، ولم يستشعر فى نفسه أنه قد
جُفِيَ وأوحش ، وأنه يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله ، بل يضمّر أنه
لا يعتد بشيء من ذلك ، ويقابل كلاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر
والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى ، ثم يكون فى إيفاء ما يكون عليه كهو فى
خطأ ما يكون له ، فإذا مرض أخوه المسلم عادة ، وإن جاءه فى شفاعة شفّعه ،
وإن استمهلته فى قضاء دين أمهله ، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه ، وإن
استسمحه فى بيع سمح له ، ولا ينظر إلى أن الذى يعامله كيف كانت معاملته
إياه فيما خلا أو كيف يعامل الناس ، إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه ، فينحو
نحوه ولا يخالفه .

أخى فى الله :

أعد قراءة هذا النص مرة ثانية وثالثة ورابعة ، ثم قل لى بربك : أين نحن
من هذه الصفات التى ذكرها الإمام أحمد ؟ .

إن من تأمل هذا النص الذى نقله البيهقي عن إمام أهل السنة وجد أننا
جميعاً - إلا من رحم ربى - بعيدون عن حسن الخلق بعد المشركين ، فلا
صفح ولا عفو ، ولا وفاء بالوعد ، ولا كظم للغیظ ، ولا قضاء للحقوق ،

وإنما تناحر وتباغض ، وتدابر وتحاسد ، وتقاطع وتهاجر .

فأى أمة نحن ؟! أنحن خير أمة أخرجت للناس ؟ أنحن أمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ؟ أنحن الأمة التى ستشهد على الأمم يوم القيامة ؟ ، اللهم غفرانك .

إننا جميعاً بحاجة إلى مراجعة لأنفسنا والنظر فى العواقب وتقديم مصالح الدين على مصالح النفس وحفظها ، والأخذ بمعالي الأمور وترك سفاسفها ، حتى تنطلق سفينة الإيمان تحمل ميراث النبوة ، تشق به أمواج الظلم والجهل والضلال ، باعثة بالنور والهداية إلى ربوع كون الله الفسيح .

إياك والغرور!!

قال ابن الجوزي : ولقد تاب على يدى فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف ، وأسلم على عيدي أكثر من مائتى نفس ، وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل .

ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام ، وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي ، ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رق قلبه أو دمعت عينه ، فقلت لنفسى : كيف بك إذا نجوا وهلكت ؟!

فصحت بلسان وجدى :

إلهي وسيدي ! ، إن قضيت عليّ بالعذاب غداً ، فلا تعلمهم بعذابي صيانةً لكرمك لا لأجلي ، لا يقولوا : عذب من دلّ عليه !! .

إلهي ! قد قيل لنبيك ﷺ اقتل ابن أبي المنافق فقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » (١) .

إلهي ! فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك ، حاشك والله يارب من تكدير الصافي .

لا تبر عوداً أنت ريشته	حاشا لباني الجود أن ينقضا
لا تعطش الزرع الذى نبته	بصوب إنعامك قد روضاً (٢)

(١) أخرجه البخارى رقم ٤٩٠٥ ، كتاب التفسير ، وسلم رقم ٢٥٨٤ ، كتاب البر والصلة .

(٢) صيد الخاطر ٢١٧ ، .

فتنة الموت وثبات العلماء^(١)

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حضرت وفاة أبي ، فكان يفرق ثم يفريق ويقول : لا بعد ، لا بعد ، فعل هذا مراراً ، فقلت له : يا أبت ! أي شيء يبدو منك ؟ قال : الشيطان قائم بحذائي عاضاً على أنامله يقول : فُتِنِي يا أحمد . وأنا أقول : لا بعد حتى أموت .

وحكى القرطبي في التذكرة عن شيخ شيخه أحمد بن محمد القرطبي أنه احتضر فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فكان يقول : لا ، فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال : أثنى شيطانان عن يميني وعن يساري ، يقول أحدهما : مت يهودياً فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : مت نصرانياً فإنه خير الأديان . فكنت أقول لهم : لا . لا . أنى تقولان هذا ؟ فكان الجواب لهما لا لكما .

وكان سفيان الثوري يقول : أخاف أن أفتن عند الموت ، يشتد الأمر عليّ ، فلا أعطي فأفتن .

قال ابن مفلح الحنبلي : ونعم ما قال ، فإن عوارض الفتن هناك كثيرة لا تحصى ، فربما وجد تشوقاً إلى الدنيا ، وانزعج لفراق محبوب ، أو ضعف عن حمل البلاء ، أو عرض للفتن ، فمال الإنسان عن التوحيد أو أعرض عن المالك .

فإن الله إذا نزل بك الموت ، فلا يكون لك هم إلا في تهذيب الاعتقاد ، والاستغفار من الذنوب ، والتوبة من الخطايا ، لعلك تلقاه نظيفاً .

(١) مصائب الإنسان ص ١٩٧ - ٢٠٠ .

وقد كان الجنيد يقرأ إلى أن مات . فقليل له : أرفق بنفسك ، فقال : الآن تطوى صحيفتي !! .

وتوفى شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يقرأ عند الموت : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ (١) .

قال شبط بن الجوزي : كان آخر ما تكلم به الشيخ أبو عمرو - رحمه الله - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال أبو بكر بن عياش : دخلت على عاصم وقد احتضر ، فجعلت أسمعه يردد هذه الآية ، كأنه في المحراب : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾ (٣) .

ومرض أبو قلابة بالشام ، فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده ، فقال : يا أبا قلابة ! تشدد ولا تشمت بنا المنافقين .

فألهم لا تشمت بنا المنافقين ، وأعدنا من أن يتخبطنا الشيطان عند الموت ... أمين .

وكان السلف يرون أن من مات عقيب عمل صالح كصيام رمضان أو عقيب حج أو عمرة أنه يرجى أن يدخل الجنة ، وكانوا مع اجتهادهم في الصحة في الأعمال الصالحة يجددون التوبة ، والاستغفار عند الموت ، ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد (٤) .

(١) سورة القمر الآيات ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٦٢ .

(٤) لطائف المعارف ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

ولما احتضر العلاء بن زياد بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : كنت والله أحب أن أستقبل الموت بتوبة ، قالوا : فافعل رحمك الله فدعا بطهور فتطهر ، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه ، ثم استقبل القبلة ، فأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك ، ثم اضطجع ومات ^(١) .

ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى ، وقال : لمثل هذا المصارع فليعمل العاملون ، اللهم إني أستغفرك من تقصيري وتفريطي ، وأتوب إليك من جميع ذنوبي ، لا إله إلا الله ، ثم لم يزل يرددّها حتى مات رحمه الله ^(٢)

وقال عمرو بن العاص رحمه الله عند موته : اللهم أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعنا إلى عفوك ، لا إله إلا الله ، ثم رددّها حتى مات ^(٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عند موته : أجلسوني ، فأجلسوه فقال : أنا الذى أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر ، فقالوا له : إنك تنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ، قال : إني أرى حضرة ما هم بإنس ولا جنّ ، ثم قبض - رحمه الله - وسمعوا تالياً يتلوا : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٤) ^(٥) .

(١ - ٤) لطائف المعارف ص ٥٨٦ - ٥٨٧ ، .

(٥) سورة القصص الآية ٨٣ ، .

أيها الشيخ الكبير ^(١)

موعظة :

يا من بلغ من العمر الخمسين أو الستين أو السبعين ، ماذا تنتظر ؟ هل
بقي من عمرك مثل ما مضى ؟ وماذا عما مضى من عمرك ؟ أما ذهبت لذاته
وبقي عليك تبعاته ؟ وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته ؟ قال الله عز وجل :
﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) ﴾ ^(٢) ،
تلا بعض السلف هذه الآية وبكى ، ثم قال : إذا جاء الموت لم يُغن عن المرء ما
كان فيه من اللذة والنعيم .

أنشد أبو العتاهية هارون الرشيد حين بنى قصره الشاهق فقال له مذكراً :

عش ما بدا لك سالماً	فى ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهد	ت مع الرواح وفى البكور
فإذا النفوس تقعقت	فى ضيق حشرجة الصدور
فهنالك تعلم موقناً	ما كنت إلا فى غرور

وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال : « أعذر الله إلى من بلغه ستين
سنة » ^(٣) .

وفى الترمذى : « أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم

(١) انظر لطائف المعارف ص ٥٢٠ - ٥٢٤ ، بتصرف .

(٢) سورة الشعراء الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٣) أخرجه البخارى رقم « ٦٤١٩ » كتاب الرقاق .

من يجوز ذلك « (١) .

لهفى على خمسين عاماً قد مضت كانت أمامي ثم خلفتها
لو كان عمري مائة هذنى تذكرى أنى تنصفتها
قال مسروق : إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك .

وقال النخعى : كان يقال لصاحب الأربعين : احتفظ بنفسك .

وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرّع للعبادة .

وقال عمر بن عبد العزيز : تمت حُجّة الله على ابن الأربعين .

ورأى فى منامه قائلاً يقول له :

إذا ما أتتك الأربعون فعندها فاخش الإله وكن للموت حذراً

فيا أبناء العشرين ! كم مات من أقرانكم وتخلفتم ؟ .

ويا أبناء الثلاثين ! أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم .

ويا أبناء الأربعين ! ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم .

ويا أبناء الخمسين ! تنصفتُم المئة وما أنصفتُم .

ويا أبناء الستين ! أنتم على معترك المنايا قد أشرفتُم ، أتلهون وتلعبون ؟

لقد أسرفتُم .

قال الفضيل لرجل : كم أتى عليك ؟ قال : ستون سنة .

قال له : أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك ، يوشك أن تصل !! .

يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه ، إنما تفرح بنقص عمرك .

(١) أخرجه الترمذى رقم « ٢٣٣١ » فى الزهد ورقم « ٣٥٥٠ » فى الدعوات ، وابن ماجه رقم « ٤٢٣٦ » فى الزهد .

قال أبو الدرداء والحسن : إنما أنت أيام ، كلما مضى منك يوم مضى بعضك !! .

إنا لنفرح بالأيام نقطعُها وكل يوم مضى يدنى من الأجلِ
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل
يا من كلما طال عمره زاد ذنبه ، يا من كلما ابيضَّ شعره بمرور الأيام
أسودَّ بالآثام قلبه ..

شيخ كبير له ذنوب تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالي وسودت قلبه الخطايا
قال وهب بن منبه : قرأت في التوراة : إن لله منادياً ينادى كل ليلة :
يا أبناء الأربعين ! زرعٌ قد دنا حصاده .

يا أبناء الخمسين ! هلموا إلى الحساب ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ .

يا أبناء الستين ! لا عذر لكم .

يا أبناء السبعين ! عدوا أنفسكم من الموتى !! .

أعيني هل تبكيان على عمري ؟ تنائر عمري من يدي ولا أدري !!

إذا كنت قد جاوزت ستين حجة ولم أتأهت للمعاد في عذري^(١)

اللهم أيقظ قلوبنا من سنة الغفلة ، وأطرد عنا طول الأمل وحب الدنيا ،
وارزقنا القناعة منهما باليسير يارب العالمين .

آمين يارب العالمين ...

(١) الزهد الكبير للبيهقي ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

أدب العشرة والصحبة ^(١)

سأل أبو الحسن الورّاق أبا عثمان عن الصحبة ، فقال : هي مع الله بالأدب ، ومع الرسول ﷺ بملازمة العلم واتباع السنة ، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة ، ومع الإخوان بالبشر والانبساط ، وترك وجوه الإنكار عليهم ، ما لم يكن خرق شريعة ، أو هتك حرمة ، قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ^(٢) ، والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة ، ورؤية نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم ، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل .

وقال حمدون القصّار : اقبلوا إخوانكم بالإيمان ، وردّوهم بالكفر ، فإن الله سبحانه وتعالى أوقع ما بين هذين في مشيئته ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٣) .

وسئل أبو عثمان الحيري عن صحبة السلامة فقال : أن يوسع الأخ على أخيه من ماله ، ولا يطمع فيما له ، وينصفه ، ولا يطلب الإنصاف منه ، ويستكثر قليل برّه ، متّاً من به عليه !! .

قال يحيى بن معاذ الرازي : الدنيا بأجمعها لا تساوي غم ساعة ، فكيف بغم طول عمرك ، وقطع إخوانك بسببها ، مع قلّة نصيبك منها !! .

(١) أدب العشرة لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٣) سورة النساء الآية ١١٦ .

ومن آداب العشرة والصحبة : قبول أعذار الإخوان ، والذبّ عنهم ،
والانتصاب لهم ، كما قال الجنيد - رحمه الله - وقد قيل له : ما بال
أصحابك أكلهم كثير ؟ قال : لأنهم لا يشربون الخمر ، فيكون جوعهم
أكثر !! فقيل له : ما بالهم لهم قوة شهوة ؟ .

قال : لأنهم لا يزنون ، ولا يدخلون تحت محظور !! فقيل له : فما بالهم
لا يطربون إذا سمعوا القرآن ؟ قال : لأنه كلام الحق ، ما فيه ما يوجب الطرب
نزل بأمر ونهى ، ووعد ووعد ، فهو يقهر .

ومن آداب الصحبة : ترك المنّ على من تحسن إليه . قال عروة : كتب
رجلٌ إلى عبد الله بن جعفر رقعة ، وجعلها في داخل وسادته التي يتكىء
عليها ، فقلب عبد الله الوسادة ، فبصر بالرقعة ، فقرأها وردّها إلى موضعها ،
وجعل معها كيساً فيه خمسمائة دينار ، فجاء الرجل ، فدخل عليه ، فقال له :
قلّبت التمرقة ؛ فخذ ما تحتها ، فأخذ الرجل الكيس ، وخر وهو ينشد :

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك ميسورٌ حقير
تتناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهورٌ كبير !!

ومن آداب الصحبة : الحرص على الإخوان وتقديهم .

قال أبو زائد : كتب الأحنف إلى صديق له : أما بعد ، فإذا قدم أخٌ لك
موافق ، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر ، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد
المخالف ، ألم تسمع قول الله عز وجل لنوح - عليه السلام - في ابنه :
﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (١) .

(١) سورة هود الآية ٤٦ .

ومن جوامع الصحبة والعشرة : قول يحيى بن أكثم : لما حضرت علقمة العطار الوفاة قال لابنه : يا بني إذا صحبت الرجال ، فاصحب من إذا أخدمته صانك ، وإن صحبتته زانك ، وإن تحركت بك مؤنة صانك ، وإن أمددت بخير مد ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، أو سيئة سترها ، وإن أمسكت ابتدأك ، وإن نزل بك نازلة واساك ، وإن قلت صدقك ، أو حاولت أمراً أمرك ، وإن تنازعتما فى حقّ أترك .

قال عبد الملك : سمع الشعبي هذه الوصية ، فقال : تدري لم أوصاه بها ؟ فقلت : لا ! قال : لأنه أوصاه ألا يصحب أحداً !! لأن هذه الخصال لم تكمل فى أحد .

أداب الجوارح مع الإخوان :

قال أبو البركات الغزي : ثم على كلّ جارحة أدب تختصّ به :

- ١ - فأدبُ البصر : نظرك للأخ بالمودّة التى يعرفها منك هو والحاضرون ، ناظراً إلى أحسن شيء يبدو منه ، غير صارف بصرك فى حديثه لك .
- ٢ - وأدبُ السّمع : إظهار التلذذ بحديث محادثك ، غير صارف بصرك عنه فى حديثه ، ولا قاطع له بشيء ، فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك ، فأظهر له عذرك .
- ٣ - وأدبُ اللسان : أن تحدّث الإخوان بما يحبون فى وقت نشاطهم لسماع ذلك ، باذلاً لهم النصيحة بما فيه صلاحهم ، مسقطاً من كلامهم ما يكرهونه ، ولا ترفع صوتك عليهم ، ولا تخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعلمونه .
- ٤ - وأدبُ اليدين : بسطهما للإخوان بالبر والصلة ، ولا تقبضهما عنهم ، ولا عن الإفضال عليهم ، ومعونتهم فيما يستعينون به .

٥ - وأدبُ الرجلين : أن تماشى إخوانك على حدّ التبع ، ولا تتقدّمهم ، فإن قربك أحد إليه ، تقرب بقدر الحاجة ، وترجع إلى مكانك ، ولا تقعد عن حقوق الآخرين ، ثقةً بالأخوة ، لأن الفضل رحمه الله قال : « ترك حقوقهم مذلة » .

(١) أخبار أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله - ذكر أخلاق الورعين فقال : أسأل الله ألا يمقتنا ، أين نحن من هؤلاء ؟ ١٩ .

قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : أنا فرح إذا لم يكن عندي شيء .
وقال : ما أعدل بالفقر شيئاً !! .

وذكر لأبي عبد الله الفضيل وعُريه ، وفتح الموصلي وعريه وصبره ، فتغرغرت عينه وقال : رحمهم الله . كان يقال : عن ذكر الصالحين تنزل الرحمة .

وذكر بشر بن الحارث فقال : رحمه الله ، لقد كان له أنس ، وذكر له شيئاً في الورع .

وقال لي أبو عبد الله ونحن بالمعسكر : ألا تعجب ! كان قوتي فيما مضى أربعة أرغفة ، أو نحواً من أربعة أرغفة ، وقد ذهب عني شهوة الطعام فيما

(١) كتاب الرقة للإمام ابن قدامة المقدسي ص ١٨٨ .

أشتهيه ، وقد كنت فى السجن آكل ، أخاف أن أفتن بالدنيا ، لقد تفكرت بالبارحة فقلت : هاتان محتتان : امتحنت بالدين ، وهذه محنة الدنيا .

قال : وكان سوق ، فربما شربه ، وربما ترك بعضه ، فمكث نحواً من خمسة عشر يوماً أو أربعة عشر يوماً ، لم يطعم إلا أقل من أربعين سويقاً .

وكان إذا ورد عليه أمر نعمة لم يفطر ، وواصل الأشرية من ماء ، وجعل يضعف من الجوع والوصال ، حتى كنت لأبلى الخرفة ، فألقيها على وجهه ، فترجع إلى نفسه .

ثم كلم أبو عبد الله فى أمره وفى الحمل على نفسه بالصوم ، فقيل له : لو أمرت بقدر فيطبخ لك ؟ لترجع إليك نفسك وتقوى على الصلاة ، فقال : الطبخ طعاماً لمطمئين ! .

وقال لى أبو عبد الله يوماً : إني لأخرج إذا لم يكن عندى شيء .
وجاء ابنه الصغير ، فطلب منه فقال : ليس عند أهلك قطعة ، ولا عندى شيء .

واستعمل لأبى عبد الله خف ، فجئته به ، فبات عنده ، فلما أصبح قال لى : قد تفكرت فى أمر هذا الخف ، وقد شغل عليّ قلبي ، وقد عزم لى ألا ألبسه ، كم ترى بقى ؟ الذى مضى أكثر مما بقى ، فدفع إليّ خفاً له خلقاً ، فقال : اضرب على هذا الموضوع رقاعاً ، وسدد خروقه ، ثم قال : تدرى منذ كم هذا الخف عندي ؟ نحواً من ستة عشر سنة ، وإنما صار إليّ وهو ليس !! .
قلت لأبى عبد الله : إن بعض المحدثين قال لى : أبو عبد الله لم يزهد فى الدراهم وحدها ، قد زهد فى الناس ، فقال أبو عبد الله : ومن أنا حتى أزهد فى الناس ، الناس يريدون يزهدون فيّ .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَيَغْفِرَ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ .

قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : مَا أَكْثَرَ الدَّاعِينَ لَكَ ، فَتَغْرُغْتَ عَيْنَهُ وَقَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اسْتِدْرَاجًا !! وَقَالَ لِي : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : لَوْ أَنَّ لِلذَّنُوبِ رِيحًا مَا جَلَسَ إِلَيَّ مِنْكُمْ أَحَدًا !! .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَرَارَةَ : كَانَتْ أُمِّي مَقْعَدَةً نَحْوَ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا : اذْهَبْ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَسَلْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ فَدَفَعْتُ الْبَابَ وَهُوَ فِي دَهْلِيزٍ ، فَلَمْ يَفْتَحْ لِي ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ذَاكَ الْجَانِبِ ، سَأَلْتَنِي أُمِّي وَهِيَ زَمَنَةٌ مَقْعَدَةٌ أَنْ أَسْأَلَكَ أَنْ تَدْعُوَ لَهَا ، قَالَ : فَسَمِعْتُ كَلَامَهُ ، كَلَامَ رَجُلٍ مَغْضَبٍ . فَقَالَ : نَحْنُ أَحْوَجُ إِلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ لَنَا !! فَوَلَّيْتُ مَنْصَرَفًا ، فَخَرَجْتُ امْرَأَةً عَجُوزَ مِنْ دَارِهِ فَقَالَتْ : أَنْتَ الَّذِي كَلَّمْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : قَدْ تَرَكْتَهُ يَدْعُوَ لَهَا .

قَالَ : فَجِئْتُ مِنْ فُورَى إِلَى الْبَيْتِ ، فَقَامَتْ عَلَيَّ رَجُلِيهَا تَمْشِي حَتَّى فَتَحَتْ الْبَابَ ، وَقَالَتْ : قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِي الْعَافِيَةَ .

كلمات في الحكمة والمروءة ^(١)

- عن الحارث أن علياً سأل الحسن - رضى الله عنهما - عن أمر المروءة فقال : يا بنى : ما السداد ؟ قال : رفع المنكر بالمعروف .
- قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة ، وموافقة الإخوان ، وحفظ الجيران .
- قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف وإصلاح المال .
- قال : فما الدقة ؟ قال : النظر فى اليسير ومنع الحقيق .
- قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء نفسه وبذاله عرسه .
- قال : فما السماحة ؟ قال : البذل من العسير واليسير .
- قال : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما أنفقته تلفاً .
- قال : فما الإخاء ؟ قال : المواساة .
- قال فما الجبن ؟ قال : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .
- قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة فى التقوى ، والزهد فى الدنيا .
- قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس .
- قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قل ، وإنما الغنى عن النفس .
- قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس فى كل شىء .

(١) سمير المؤمنات ، سلوى الكندرى ص ١٥٧ .

- قال : فما المنعة ؟ قال : الفرع عند المصدوقة .
- قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعينك .
- قال : فما المجد ؟ قال : أن تعطى فى الغرم وتعفو عن المحرم .
- قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب ما استودعته .
- قال : فما حسن الثناء ؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح .
- قال : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة والرفق بالولاة .
- قال : فما السفه ؟ قال : الدناءة ومصاحبة الغواة .
- قال : فما الغفلة ؟ قلا : تركك حظك وقد عرض عليك .
- قال : فما الأحمق ؟ قال : الأحمق فى ماله المتهاون فى عرضه !! .

ثمرة الخوف من الله

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال :
لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا
أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ^(١) ، تلاها رسول الله ﷺ
ذات يوم على أصحابه ، فخرّ فتى مغشياً عليه ، فوضع النبي ﷺ يده على
فؤاده ، فإذا هو يتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : « يا فتى ، قل : لا إله إلا الله » .
فقالها : فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : من يا رسول الله ، أمن بيننا ؟ .

(١) سورة التحريم الآية ٦ ، ٦ .

فقال : أو ما سمعتم قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ^(١) .

[حياة الصحابة - عن الترغيب ٦٨٨/٢] .

الخوف من الله

قال أنس - رضى الله عنه - :

دخلتُ حائطاً - أى بستاناً - فسمعت عمر - رضى الله عنه - يقول وبينى وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخُ بَخ ، لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك .

[تاريخ الخلفاء - للإمام السيوطى ص ١٢٩] .

من عجيب شأن رسول الله ﷺ

أخرج عبدُ بنُ حميد وابنُ أبى الدنيا فى « كتاب التفكير » وابنُ حبان فى صحيحه ، وابنُ مردويه ، والأصبهاني فى كتاب « الترغيب والترهيب » وابنُ عساكر عن عطاء ، قال :

قلت لعائشة - رضى الله عنها - : أخبرينى بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ .

(١) سورة إبراهيم الآية ١٤ .

قالت : وأيُّ شأنه لم يكن عجباً ؟ إنه أتانى ليلةً فدخل معي لحافى ثم قال : « ذرينى أتعبّد لربّى » ، فقام فتوضأ ، ثم قام يصلى ، فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله ، وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟

قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولم لا أفعل وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٠) ﴿ (١) » .

اختبار القضاة

قال يحيى بن أكثم يمتحن رجلاً للقضاء :
ما تقول فى رجلين زوج كل واحد منهم الآخر أمّه ، فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟
فلم يعرفها .

فقال له يحيى : كل واحد من الوالدين عم الآخر لأمّه .
[عيون الأخبار ، لابن قتيبة : ١ / ٦٥] .

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ ، .

قاضي يرد شهادة أمير

حكى عن أبى يوسف - رحمه الله - أنه شهد عنده أمير من عظماء جيش أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وكان من أقربائه ، فلم يقبل شهادته ، فشكا إلى هارون ، فقال هارون : لم رددت شهادته ؟ .

قال : لأننى سمعته يوماً بين يديك يقول : أنا عبد أمير المؤمنين ، فإن كان صادقاً ؛ فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذباً ، فلا شهادة للكذاب .

فقال هارون : إن شهدت ؛ فهل تقبل شهادتى ؟ .

قال : لا .

فقال : ولم ؟ .

قال لأنك تتكبر على الله فلا تخرج إلى الجماعة ، ولا تصلّى مع عامة المسلمين ، وهذا تكبر على الله ، ولا يليق بالعبد هذا .

فتاب هارون على ذلك ، واتخذ مسجداً للعامة على بابه ، وكان يخرج إليه عند كل صلاة .

[محاسن الإسلام ، للإمام أبى عبد الله البخارى ، ص ١١٣ - ١١٤] .

تسامح الإسلام

روى الإمام أبو يوسف فى كتابه « الخراج » :

أن عمر - رضى الله عنه - مرّ بباب قوم وعليه سائل يسأل ، كان شيخاً ضريعاً يبدو عليه أنه ذمى ، فضرب عمر بعضده وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ .

فقال : يهودى .

فقال : ما ألجأك إلى ما أرى ؟ .

قال : أسأل الجزية والحاجة والسّن .

فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، وأعطاه شيئاً مما عنده ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، وقد قال :

انظر هذا وضرباًه ، فوالله ما أنصفنا الرجل أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذه عند الهرم : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ^(١) .

وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ثم رد عنه الجزية وعن أمثاله .

[الخراج ، لأبى يوسف : ص ١٢٦] .

(١) سورة التوبة الآية « ٦٠ » .

العفو عند المقدرة

جاء في البخارى من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً استأذن على عمر - رضي الله عنه - فأذن له ، فقال له :
يا ابن الخطأب ، والله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ،
فغضب عمر - رضي الله عنه - حتى هم أن يوقع به ، فقال الحر بن قيس :
يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩) ﴿ (١) .
وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر - رضي الله عنه - حين تلاها عليه ،
وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل .
[مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة : ص ١٨٧] .

ثلاث يهنّ كمال الإيمان

قال لقمان الحكيم :
ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان .
من إذا رضي ؛ لم يُخرجه رضاه إلى الباطل .
وإذا غضب ؛ لم يُخرجه غضبه من الحق .
وإذا قدر ؛ لم يتناول ما ليس له .
[عيون الأخبار ، لابن قتيبة : ١ / ٢٩٠] .

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩ ، .

تعظيم حديث رسول الله ﷺ

كان الإمام مالك - رحمه الله - إذا أراد أن يحدث ؛ توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرَّح لحيته ، وتمكَّن في جلوسه بوقارٍ وهيبة ، ثم حدَّث ، فقليل له في ذلك ، فقال :

أحبُّ أن أُعظِّم حديث رسول الله ﷺ ، ولا أحدثُ به إلا متمكِّناً على طهارة ، وكان يكره أن يحدث على الطريق أوقائماً أو مستعجلأ ، ويقول :

أحبُّ أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ .

وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنِّه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثُّ رسول الله ﷺ مدفونه .

[وفيات الأعيان ، لابن خلكان : ١٣٥/٤ - ١٣٦]

ونحوه في تذكرة السامع والمتكلِّم : ص ٣١ .

صورة عجيبة من تعظيم العلماء

قال الزرنوجي :

كان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين صاحب الهداية - رحمه الله تعالى - يحكى أن واحداً من كبار أئمة بخارى كان يجلس للدرس ، وكان يقوم في خلال الدرس أحياناً ، فسألوه عن ذلك ، فقال :

إن ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكَّة ، ويجيء أحياناً إلى باب المسجد ، فإذا رأيته ؛ أقوم له تعظيماً لأستاذي .

[تذكرة السامع والمتكلِّم : ص ٩٠] .

موعظة نافعة

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال :

تعلموا الصمت كما تعلمون الكلام ، فإن الصمت حلم عظيم ، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم ، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك ، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب ، ولا مبشاً إلى غير أرب .
[حياة الصحابة - عن ابن عساكر : ٧٠٤ / ٢] .

النمائم لا يكون صادقاً

يُروى أن سليمان بن عبد الملك قال لرجل :
بلغني أنك وقعت في ، وقلت : كذا وكذا .
فقال الرجل : ما فعلت .
فقال سليمان : إن الذي أخبرني صادق .
فقال الرجل : لا يكون النائم صادقاً .
فقال سليمان : صدقت ، اذهب بسلام .

[مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة : ص ١٨١] .

من ورع الصديق رضي الله عنه في ترك الحرام

أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :
كان لأبي بكر غلام يُخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجهِ ،
فجاء يوماً بشيءٍ ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام :
تدرى ما هذا ؟ .

قال أبو بكر : ما هو ؟ .

قال : كنت تكهنت لإنسانٍ في الجاهلية ، وما أحسن الكهانة ، إلا أنى
خدعته ، فلقينى ، فأعطانى هذا الذى أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده ، ففأ
كل شيء فى بطنه .

[تاريخ الخلفاء للإمام السيوطى : ص ١٠٠] .

كيف يُستجاب الدعاء

روى عكرمة بن عمار : حدثنا الأصغر قال :
قيل لسعد بن أبي وقاص : كيف تُستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول
الله ﷺ ؟ .

قال : ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها ومن أين
خرجت .

[جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي : ٢٢٧/١] .

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

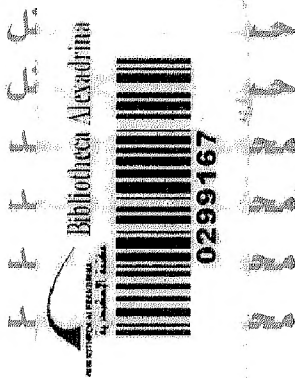
- حقبة من التاريخ
- وصف الدنيا في الكتاب والسنة
- الخلافات الزوجية وحلول عملية
- سلسلة تعليم الكمبيوتر للنشء ١٤/١
- التطواف حول معانى الصيف والإصطيف
- يا صاحب القلب السليم
- كيف تنال السعادة الحقيقية
- كيف نحل مشاكلنا
- هيا بنا نؤمن ساعة
- الاتقياء الأخفياء
- أخطاء شائعة في البيوع
- الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية
- كيف تحقق غنى النفس وسعة الرزق
- التيسير في الخطب والوعظ والتذكير
- تذليل الصعاب لعلاج الحزن والإكتئاب .
- كيف تواجه الشهوة وتقضى على العادة السيئة.
- السيرة النبوية الميسرة .
- خمسون نهياً شرعياً للنساء .
- خمسون نصيحة لتارك الصلاة .
- سلسلة قصص الأنبياء للأطفال ٢٥/١ .
- عثمان الخميس
- خالد رمضان حسن
- عادل فتحى عبد الله
- أحمد حسن خميس
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- سعيد عبد العظيم
- حسن زكريا فليفل
- حسن زكريا فليفل
- حسن زكريا فليفل
- حسن زكريا فليفل
- حسن زكريا فليفل

تطلب جميع مطبوعاتنا
في المملكة المغربية من
تسجيلات الهداية القرآنية
الدار البيضاء

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

أحدث مطبوعات دار الإيمان

- | | |
|--------------------|----------------------------------------------|
| عثمان الخميس | □ حقبة من التاريخ |
| خالد رمضان حسن | □ وصف الدنيا في الكتاب والسنة |
| يسري محمد عبد الله | □ احذروا فتنتي المسيح الدجال ويا جوج وما جوج |
| أحمد حسن خميس | □ سلسلة تعليم الكمبيوتر للنشء ١٤/١ |
| سعد كريم الفقي | □ أخطاء شائعة في تربية الأبناء |
| علي القرني | □ أختاه هل تريد السعادة |
| علي القرني | □ هكذا علمتني الحياة |
| سعيد عبد العظيم | □ كيف نحل مشاكلنا |
| سعيد عبد العظيم | □ هيا بنا نؤمن ساعة |
| سعيد عبد العظيم | □ الأتقياء الأخفاء |
| سعيد عبد العظيم | □ أخطاء شائعة في البيوع |
| سعيد عبد العظيم | □ الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية |
| سعيد عبد العظيم | □ كيف تحقق غنى النفس وسعة الرزق |
| سعيد عبد العظيم | □ التيسير في الخطب والوعظ والتذكير |
| حل | □ تذليل الصعاب لعلاج الحزن والإكتئاب . |
| حل | □ هل النساء ناقصات عقل ودين |
| حل | □ صلاة الفجر |
| حل | □ صلاة الجمعة |
| حل | □ صلاة الضحى |
| حل | □ صلاة الاستخارة |



دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط، مصر مطبعة
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩، تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦